نشأة وتطور العلاقات السياسية المصرية النوبية خلال العصر التاريخى

دكتورة نبيله محمد عبد الحليم
كلية التربية — جامعة الاسكندرية

يعتمد الباحث فى التاريخ القديم على المصادر النصية والأثرية ، فيحاول البحث عن النصوص والآثار المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوع بحثه . ومن الموضوعات التى تستوجب الدراسة التاريخية ، موضوع العلاقات السياسية بين مصر الفرعونية من ناحية ، والنوبة من ناحية أخرى . فقد احتلت النوبة مكاناً بارزاً فى السياسة الخارجية لمصر الفرعونية فى معظم عهودها . وتعود أهمية النوبة إلى نظرة المصريين القدماء إلى بلاد النوبة السفلى باعتبارها بمثابة منطقة يعد استراتيجى لهم على أساس أن الجندل الثانى كان فى نظرهم يمثل الحدود الجنوبية الطبيعية لمصر الفرعونية . ومن ناحية أخرى ، فقد جمعت بين المصريين والنوبيين مظاهر حضارية مشتركة ، فكلاهما ينتمى إلى نفس السلالة الحامية (١) كما أنهما اتبعا نفس الأسلوب الحضارى منذ عصر فجر التاريخ ، ولو أن النوبيين لم يستطيعوا مجاراة المصريين فى مضمار الحضارة . أضف إلى ذلك أن اقتصاد مصر الوطنى ومركزها التجارى فى ذلك الوقت كان يعتمد اعتماداً متزايداً على الحصول على المواد الخام من النوبة وما جاورها من أراضى فى الجنوب . لذلك حرص المصريون كل الحرص على ابقاء تلك الأقاليم تحت سيطرتهم . (انظر خريطة النوبة)

(1) Smith, G.E. and Jones, F.W., The Archaeological Survey of Nubia (Report for 1907—1908) Vol. II, Report on the Human Remains. Cairo, 1910, pp, 15—36.

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن المصريين القدماء أطلقوا كلمة تاسّتى (١)

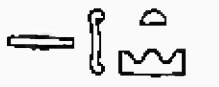

على بلاد النوبة ومعناها أرض النوبيين ؛ وكانت تطلق أيضاً على الأقليم الأول من أقاليم الوجه القبلى . وربما تكون كلمة نوبة قد اشتقت من الكلمة المصرية «نوب» بمعنى الذهب . ولقد فرق المصريون القدماء بين النوبة السفلى (الجزء الذى يقع بين الجندل الأول والثانى) واوات (٢) Wawat

وبين النوبة العليا (الجزء الذى يقع جنوب الجندل الثانى) أرض كاس المعروفة فيما بعد باسم كاش (٣) وهى كوش :

أما بالنسبة للنوبيين ، فقد أطلق المصريون القدماء عليهم لفظة مدجاى (٤) Medjay

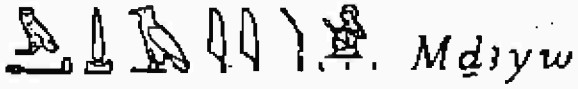

، وأيضاً نحسيو Nehesyu (٥) والتى كانوا يطلقونها على القبائل الحامية والزنجية .

---

(1) Gardiner, A., Egyptian Grammar, Being An Introduction to the study of Hieroglyphs, London, 1969, p. 593.

(2) Gardiner, A., Ibid., p. 559.

(3) Gardiner, A., Ibid., p. 597.

(4) Gardiner, A., Ibid., p. 571.

(5) Gardiner, A., Ibid., p. 575.

ولعل أول وثيقة ذكرت كلمة النوبة (١) هى كتاب Geographica لمؤلفه سترابو Strabo فى الكتاب السابع عشر . وينطبق هذا التعبير الجغرافى على المنطقة الممتدة بين أبو حمد ومروى .

وعلى الرغم من أن العلاقات المصرية النوبية قد استمرت فى معظم العصور الفرعونية الا أنه يمكن القول بأن نظرة المصريين القدماء إلى تلك البلاد قد تباينت فى طبيعتها من عصر إلى آخر . وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هل عاشت مصر فى سلام دائم مع جيرانها فى الجنوب ؟ وهل كان المصريون ينظرون إلى النوبة كامتداد طبيعى مكمل لمصر ؟ أم أنهم كانوا يطمعون فى استغلال اقليم النوبة الغنى بالمواد الخام والأيدى العاملة . ومن ناحية أخرى هل كان أهل النوبة أنفسهم ينشدون صداقة مصر سعياً وراء الرزق أم أنهم كانوا يثورون فى وجه حكامها بين الحين والآخر إلى أن تحينوا تلك اللحظات التى ضعفت فيها مصر سياسياً فانقلبوا عليها بل واستطاعوا أن يحتلوا مصر فى نهاية الأمر . وحتى يتمكن الباحث من الاجابة على تلك التساؤلات فانه يلزم ملاحظة تطور العلاقات المصرية النوبية مع إلقاء بعض الضوء التاريخى على طبيعة تلك العلاقات ابان العصر التاريخى .

فبالنسبة للعلاقات المصرية النوبية فى عصر الاسرات المبكر ، يمكن للباحث أن يلاحظ انشغال ملوك تلك الفترة بوجه عام فى تثبيت دعائم الوحدة وعدم ميلهم إلى الفتوحات الخارجية . الا أن النقوش والنصوص التى تعود إلى تلك المرحلة تشير إلى بعض الحملات العسكرية التى كانت ترسل من مصر إلى بلاد النوبة ، الا أنها لم تكن موجهة ضد السكان الأصليين بل غالباً

---

(١) عبد المنعم أبو بكر وآخرون ، بلاد النوبة ، ص ٤٤ .

ما اقتصرت على رد غارات البدو لتأمين طرق القوافل التجارية . وفى الامكان ملاحظة ورود ذكر النوبة على رقعة خشبية عثر عليها فى أبيدوس من عهد حورعحا Hor Aha وهى تشير الى غزو الأراضى النوبية (١) كما يشير نص منقوش على لوحة صخرية فى وادى حلفا Wadi Halfa يحمل اسم جر (٢) إلى غزوه لبلاد النوبة .

ويشير حجر بالرمو إلى ملك مجهول الاسم من الأسرة الأولى «ويحتمل أن يكون الملك دن Den » قام بضرب المقاطعات « الأيونتيو » (٣) Juntiu

ويشير نقش فى الكوم الأحمر (٤) من عهد خع سخم khasekhem إلى ضربه للنوبيين. كما تشير التنقيبات الأثرية فى بوهن (*) Buhen إلى العثور على أفران لصهر النحاس فى نهاية عصر الاسرات المبكر . (٥)

ثم تطورت علاقات مصر بالنوبة أثناء عصر الدولة القديمة حينما بدأت أنظار ملوك تلك المرحلة تتجه نحو الجنوب رغبة فى الحصول على الكثير من المواد الخام وبدأت البعثات التجارية تتردد على تلك المناطق . ولكن هذا النشاط التجارى لم يقلل من حرص المصريين على حماية حدود بلادهم

---

(1) Edwards, I.E.S., The Early Dynastic Period in Egypt",(in)C.A.H., Vol. 1, Part 2A, Cambridge, 1971, pp. 23 & 50.

(2) Edward., I.E.S., Ibid., P. 50 and Arkell, A.J., "Varia Sudanica", (in) J.E.A., Vol. 36, London, 1950, pp. 27—30.

(3) Edwards, I.E.S., Op. Cit., p. 50.

(4) Quibell, J.E., and Green F.W., Hierakonpolis, Part 2 (E.R.A. 5*th* Memoir) London, 1902, PL. LVIII.

(*) تقع على الحد الشمالى للجندل الثانى .

(5) Tigger, B.J., Nubia Under the Pharohs, Great Britain 1976, p. 46.

الجنوبية طوال عصر الدولة القديمة ، وخاصة وأن بعض القبائل الزنجية بدأت تظهر على المسرح السياسى منذ عام ٣٥٠٠ ق . م . ، ووصلت بعضها إلى مصر فى عصر الأسرة الثالثة . وفى هذا الاتجاه نجحت جهود زوسر Djoser فى السيطرة على القبائل النوبية جنوب الجندل الأول (١) .

ومن عهد حونى Huni ، عثر على قطعة مخروطية ، (**)من الجرانيت الأحمر فى الفنتين Elephantine يعتقد بورخارت Borchardt أنها جزء من قلعة دفاعية أقيمت فى تلك الجزيرة على الحدود القديمة بين مصر والنوبة بغرض تقوية الدفاع عنها . ويشير النص المنقوش عليها إلى إقامة تلك القلعة وإلى اسم الملك حونى داخل الخرطوش الملكى (٢) .

أما الاخضاع الحقيقى للنوبة السفلى ، فقد تم فى عهد سنفرو Snefru حيث تشير حولياته على حجر بالرمو إلى حملاته ضد النوبة (٣) وقد أحضر سنفرو معه من النوبة سبعة آلاف أسير ومائتى ألف رأس من الماشية (٤)؛ وربما كانت هذه الحملة موجهة ضد القبائل القاطنة إلى الجنوب من بوهن لتأمين طرق التجارة حتى دنقلة (٥) .

أما خوفو فقد استغل محاجر الديوريت الواقعة فى الصحراء شمال غربى

---

(1) Breasted, J.H., A History of the Ancient Egyptians, the Historical Series for Bible Students, Vol. V, p. 104.

(**) موجودة بالمتحف المصرى تحت رقم ٤١٥٥٦ وقد وقدتام بدراستها ليب حبشى

(2) Smith, W.S., "The Old Kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate Period", (in) C.A.H., Vol. 1, Part 2A, Cambridge, 1971, p. 159.

(3) Smith, W.S., Ibid., p. 167.

(4) Breasted, J.H., Op. Cit., p. 106, And Breasted, J.H., A.R.I., 146.

(5) Tigger, B.J., Op. Cit., P. 47.

أبى سنبل . (١) وقد عثر على أسماء كل من رع جدف Rediedef ، وساحورع Sahûre واسيسى Isesi منقوشة على تلك المحاجر (٢) . كما يشير أوناس Unas إلى زيارته للحدود الجنوبية التى ربما استقبل فيها رؤساء القبائل النوبية (٣) .

مما سبق يمكن القول بأن المصريين القدماء احتلوا النوبة السفلى فى تلك المرحلة ، ووجدوا سهولة فى استغلال الثروات المعدنية فى تلك المناطق بدليل اكتشاف افران لصهر النحاس فى بوهن تعود إلى عصر الاسرتين الرابعة والخامسة (٤) .

وأخذت عناية المصريين ببلاد النوبة تزداد فى عصر الأسرة السادسة ، ويستدل من نص تحلفه (اونى) Uni عن مهمة أرسله فيها بيبى الأول Pepi I إلى بلاد النوبة لتجنيد مقاتلين من النوبة للجيش المصرى « ... أعلن جلالته الحرب وجهز جلالته جيشاً من عشرة الآلاف من كل الوجه القبلى ... ومن النوبيين ايرثت Irthet ومدجاى ويام Yam ومن واوات ومن كاآو kaau (٥) ...» .

ويشير نقش عند الجندل الأول إلى زيارة مرنرع Merenre لإقليم الجندل الأول ليتقبل ولاء رؤساء قبائل مدجاى وايرثت وواوات « ... وصول جلالة الملك إلى الأراضى الواقعة بعد الاقليم الصخرى (الجندل الأول) لمشاهدة هذا الاقليم ولقبول الخضوع والمديح من رؤساء قبائل المدجاى

---

(1) Smith, W.S., Op. Cit., p. 167.
(2) Smith, W.S., Ibid., p. 167.
(3) Smith, W.S., Ibid., p. 188.
(4) Emery, W.B., Egypt in Nubia, London, 1965.

ترجمة العربية تحفة حندوسة وراجعه عبد المنعم أبو بكر بعنوان « مصر وبلاد النوبة » القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٣١ .

(5) Wilson, J.A., "Asiatic Campaigns Under Pepi I" (in) A.N.E.T., princeton, 1969, p. 228.

والايرثت والواوات (١) ...» .

وقد استمر اونى لخبرته فى الشئون النوبية فى خدمة الفرعون مرنرع ، حيث عينه حاكماً على الجنوب» ... سيدى الذى له الحياه الأبدية، عينى وحاكماً على الجنوب (٢) .

ولكى يتغلب على الصعوبة فى التنقل بين مصر والنوبة ، قام (أونى) برحلتين إلى الجندل الأول . وفى رحلته الأولى ، قضى عاماً كاملا فى شق خمس قنوات عند الجندل الأول لتيسير الملاحة ، كما أتم بناء سبع سفن (٣) أتى بها محملة بكل الجرانيت .ولقد ازدادت الصلات السلمية بين مصر والنوبة عندما أخذ حكام الفنتين يرتادون مناطق النوبة . وقد قام حرخوف Harkhuf بقيادة القوافل التجارية فى الجنوب . وتشير نقوش مقبرته تجاه اسوان إلى زيارته للنوبة ثلاث مرات فى عهد الملك مرنرع . وقد استغرقت رحلته الأولى سبعة شهور ، وكان مساعداً لوالده إرى Iri (٤) .

أما عن رحلته الثالثة ، فيشير النص « ... أرسلنى جلالته الآن مرة ثالثة إلى بلاد يام : فخرجت من المقاطعة الشينية إلى طريق الواحات ووجدت حاكم يام قد ذهب إلى أرض التمحو ليضرب التمحو فى ركن السماء الغربى فذهبت وراءه إلى أرض التمحو وأرضيته حتى مدح جميع الآلهة من أجل الملك(٥)...».

---

(1) Breasted, J.H., A History of Egypt from the Earlist Times to the Persian Conquest, Book II "The old kingdom", London, 1906, p.137.

(2) Breasted, J.H., A.R., 1, 320 .

(3) Gardiner, A.H., Egypt of the Pharaohs .

ترجمه للعربية نجيب ميخائيل ابراهيم ، وراجعه عبد المنعم أبو بكر بعنوان «مصر الفراعنة» القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١١٦ .

(4) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book II, "The Old Kingdom", p. 138. and Breasted, J.H., A.R., 1, 333

(5) Wilson, J.A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, p. 90 and Breasted, J.H., A.R., 1, 335f.

ويستدل من ذلك النص على اجتياز حرخوف لطريق «درب الواحات» للوصول إلى منطقة قبيلة (يام) ولكنه وجد رئيسها يحارب قبائل التحنو (الليبيين) .

هذا وقد عثر فى كرما kerma جنوبى الشلال الثالث (١) على قطع من الأوانى الحجرية وقد نقش عليها أسماء بيبى الأول ومرنرع وبيبى الثانى مما يشير إلى توغل البعثات المصرية التجارية حتى كرما . ويعتقد ريزنر Reisner أن المصريين أقاموا مراكز تجارية خلال عصر الأسرة السادسة فى كرما . (٢) كما استمرت الرحلات المصرية إلى مناطق النوبة الثانية تقيم صلات الود وحسن الجوار وتعود بخيرات تلك البلاد . ولكن تلك العلاقات السياسية السلمية بين مصر والنوبة لم تستمر طوال عصر الأسرة السادسة إذ أن حالة مصر السياسية وما انتابها من مظاهر الضعف فى أواخر عصر هذه الأسرة بدأ ينعكس على طبيعة علاقاتها بالنوبة . فما أن بدأت الأوضاع الداخلية فى مصر فى التفكك والضعف حتى بدأت القبائل النوبية تتحول فى مشاعرها نحو البعثات التجارية المصرية . فبدلا من الترحيب الذى كان يقابل به «اونى» «وحرخوف» (٣) فى رحلاتهم ، فاننا نلاحظ مدى الحرج الذى قابلته رحلة حرخوف الثالثة وذلك بسبب العداء الذى لاقته تلك الرحلة من القبائل النوبية مما تطلب ارسال حقايب Hekayeb على رأس حملة تأديبية إلى تلك البلاد . ومن مظاهر سوء العلاقات المصرية النوبية كذلك ، أن حاكم أسوان فى عصر بيبى الثانى المسمى مخو (٤) Mekhu ربما يكون قد مات أو قتل

---

(1) Smith, W.S., Op. Cit., p. 194.

(2) Reisner, G.A., Excavations at Kerma (Harvard African Studies). Vol. V., pp. 29—33. and Vol. VI, pp. 506 — 510, Cambridge Mass., 1923.

(3) Breasted, J.H., A.R., 1, 333 — 336

(4) Tigger, B.J., Op. Cit., p. 59.

فى النوبة السفلى . كما تشير نقوش مقبرة خليفته سابنى Sabni فى أسوان إلى ذهابه إلى النوبة لاحضار جثة والده الذى قتل اثناء رحلة لقافلته فى النوبة (١) . وتشير نقوش ببى نخت أحد حكام الفنتين * المدونة على لوح فى قبره عن حملته التى كلفه بها الملك ببى الثانى لتأديب بلاد النوبة « ... أرسلنى جلالة مولاى لأسارع إلى بلاد واوات وايرثت ، وقد تصرفت بما أرضى مولاى ، وذبحت عدداً كبيراً منهم من أبناء الرؤساء وضباط الجيش الشجعان ، وأحضرت إلى العاصمة من هناك عدداً كبيراً من الأسرى وكنت على رأس مجموعة من الجنود الأقوياء الشجعان (٢) ...» .

وعندما وصلت الحالة السياسية فى مصر القديمة على النحو الذى سبقت الاشارة اليه ، انتقلت مصر إلى عصر الفترة الأولى قرب نهاية الألف الثالث قبل الميلاد . وفى هذا العصر ، سادت اللامركزية كنتيجة لتفكك نظام الملكية المصرية . كما وصل التدهور السياسى إلى الحد الذى تقلصت معه ممتلكات مصر فى الجنوب بل نكاد نجزم أن مصر قد فقدت سيطرتها على حدودها . ومع انهيار الحكومة المركزية فى مصر ، يمكن ملاحظة توقف التبادل التجارى المصرى النوبى ولاسيما مع بلاد بام . كما يلاحظ اختفاء السلع الافريقية التقليدية فى ذلك الوقت من السوق المصرية ولاسيما فى العاصمة منف . وعلى الرغم من هذا الكساد التجارى بين مصر والنوبة السفلى ، الا أن ذلك لم يمنع القبائل النوبية ولاسيما قبائل المدجاى من العمل فى صفوف الجيوش المصرية أثناء الحرب الأهلية التى جرت فى مصر فى تلك الآونة . وبالاضافة إلى ماسبقت الاشارة اليه ، فقد هيأت تلك الفترة لبعض الهجرات أن تستقر فى بلاد النوبة . وكان مصدرهم من المناطق الشمالية الغربية حيث كانت تقطن قبائل التحو . وفى هذه الفترة أيضاً تمكنت بعض القبائل الزنجية من التسرب

---

(1) Smith, W.S., Op. Cit., p. 195.

* مقبرته تجاه أسوان والنقش مدون على واجهة باب وعلى سبعة أعمدة على كل من جانبى المقبرة

(٢) ألن جاردنر ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .

إلى منطقة الشلال الثالث وبدأت تهدد النوبة السفلى ، ولم تسلم من خطرها حدود مصر الجنوبية نفسها . ولقد تمكنت تلك القبائل من اتخاذ عاصمة لها جنوبى الشلال الثالث فى كرما ، وقد سميت تلك القبائل باسم الكوش . ولقد تنبه ملوك الأسرة الحادية عشرة لخطرهم وأعدوا العدة لمكافحتهم . ويشير نقش من عهد الملك تب حبت رع Nebhepetre عثر عليه بجوار البلاص El-Ballas إلى انتصارات هذا الفرعون والصحارى المجاورة (١). فى السطرين الخامس والسادس من النص «...أن الفرعون ملك واوات (النوبة السفلى) والواحة المجاورة (كركر *) Kurkur أنه «هزم الأعداء فيها» وأنه ضم تلك المناطق إلى مصر العليا . ويبدو أن رجال القبائل فى شرق النوبة قد اضطروا لتقديم فروض الطاعة والولاء له(باحناء جباههم على الأرض). ويضيف النص « أن الحاكم المنتصر سافر فى النهر حتى وصل إلى الفنتين وهناك تلقى ترحيب المواطنين » ويختم النص قائلا «... لقد فعلت ذلك عندما كنت ملكاً (بعد أن جعلت طيبة تستعيد نفوذها على الأرضين) ؛ وفى السطر الأخير من النص يشير مرة أخرى إلى واوات والواحة ، ويدعى مرة أخرى أنه تمكن من ضمها إلى مصر العليا ...» (٢).

ويسجل نقش صخرى فى ابيسكو Abisko أن أحد رجال «تب حبت رع» وكان نوبيا ويدعى تحماو Tehemau ذكر أن الملك المصرى سافر جنوباً

انظر

(1) Lutz, H.F., Egyptian Tomb Steles and Offering Stones of the Museum of Anthropology and Ethnology of the University of California (University of California Publications Egyptian Archaeology, Vol. IV) Leipzig, 1927, No. 66, pl. 34.

* تقع جنوب غرب واوات .

(2) Hayes, W.C., "The Middle Kingdom in Egypt, Internal History From the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes III", (in) C.A.H., Vol. 1, Part 2A, Cambridge 1971, pp. 486—487.

حتى وصل إلى مكان يسمى بن * Ben ويستمر النص قائلا : ان تحماو وابنه قد رافقا الفرعون فى رحلته بحراً ليقتل بدو جاتى (١) Djati وسكان الصحارى المجاورة. ويشير ولسون إلى أن رجال البدو حاولوا عرقلة العمل فى المحاجر مما تطلب ارسال حملة عسكرية للمحافظة على حقوق استغلال تلك المحاجر (٢) .

وبالرغم من رحلات ملوك تلك المرحلة إلى النوبة ، فان سيطرة مصر على بلاد النوبة لم يتعدى الجندل الثانى . وربما استطاع تب حبت رع باستيلائه على «واحة كركر» أن يفتح طريق القوافل إلى السودان . ومن المحتمل أن تكون مناجم الذهب فى النوبة قد استغلت تحت اشراف المصريين فى تلك الآونة .

وقد استمر متوحوتب الخامس فى ارسال الحملات على النوبة كما فعل أسلافه السابقين . ولقد ازداد اصرار المصريين على التوسع الاقليمى والاستغلال الاقتصادى لاقليم النوبة فى عصر الاسرة الثانية عشرة ، كما استطاع ملوكها أن يخضعوا المنطقة ما بين الشلال الأول والثانى اخضاعاً تاماً للنفوذ المصرى .

وفى الامكان الاشارة إلى أن امنمحات الأول * قد وصل إلى الفنتين

* يحتمل أن تكون برهن

(1) Hayes, W.C., Ibid., p. 487.

(2) Wilson, J., Op. Cit., p. 128.

* يحتمل أن يكون أمنمحات الأول من أصل نوبى كما تشير إلى ذلك بردية تفر روهو «...سيأتى ملك من الجنوب اسمه اميني Ameni وهو ابن سيدة نوبية الأصل ...» والبردية محفوظة تحت رقم ١١١٦ ب بمتحف لينجراد وقد قام بدراستها جولنيشف . انظر

Golenischeff, W., Les Papyrus Hiératiques nos. 1115, 1116A, et 1116B de l'Ermitage Impérial à st. Pétérsbourg (st. Pétérsburg,1913)

وقام بترجمتها جاردنر وإرمان :

Gardiner, A.H., "New literary Works From Ancient Egypt", Pétérsburg 1116B, Recto (in) J.E.A., 1, London 1914, pp. 100-106. and Erman, A.,L.A.E., London 1927, pp. 110—115. and Wilson, J.A., "The Prophecy of Neferti", (in) A.N.E.T., P. 445.

على رأس أسطول من عشرين سفينة برفقة خنوم حوتب Khnumhotpe وذلك لاقرار الأمن والسلام فى تلك المناطق المضطربة واظهارا لبأس الفرعون أمام أهالى النوبة السفلى (١) . وفى العام التاسع والعشرين من حكمه ، أشرك ولى عهده وابنه سنوسرت الأول فى قيادة الحملة النوبية التى وصلت كورسكو ** Korosko . وهناك نص من عامه التاسع والعشرين يسجل وصوله... لقهر واوات (٢)...». وقد أتم أمنمحات الأول تشييد حصن سمنة بجوار الجندل الثانى كما أقام المركز التجارى فى كرما .

وفى عهد خلفه سنوسرت الأول ، نراه يسير على سياسة أبيه فى التوسع تجاه حدود مصر الجنوبية . فيحتل النوبة السفلى ، ويعسكر جنوده فى القلاع والحصون من قلعة كوبان Quban حتى بوهن (٣) .

ولم يكتف ملوك الأسرة الثانية عشرة باخضاع النوبة السفلى فقط بل استولوا على عاصمة كوش فى كرما حيث يشير نقش على لوحة من الحجر الرملى أقامها منتوحوتب (٤) قائد جيش سنوسرت الأول فى بوهن . واللوحة تمثل منظر الملك واقفاً أمام منتو Mentu إله الحرب فى طيبة الذى يقدم الأسرى من الأراضى السودانية وعلى رأسها كوش . كما يشير نقش

---

(1) Hayes, W.C., Op. Cit., p. 497.

** منتصف المسافة بين الجندلين الأول والثانى .

(2) Tigger, B.J., Op. Cit., p. 64 and Breasted, J.H., A.R. 1, §§ 472f.

(3) Vercoutter, J., "Upper Egyptian Settlers in Middle Kingdom Nubia", (in) Kush, 5, 1957, pp. 61—69.

انظر

Emery, W.B., "A Masterpiece of Egyptian Military Architecture of 3900 Years ago : the Great Castle of Buhen in the Sudan", (in) Illustrated London News, Vol. 235, no. 6267 (12 September, 1959) pp. 232—233 and 249—251.

(4) Breasted, J.H., A.R., 1, 510—514.

فى مقبرة امينى أحد أمراء بنى حسن (١) إلى أنه أبحر جنوباً «وراء كوش» ووصل إلى «نهايات الأرض». وأن سنوسرت الأول كان بشخصه على رأس الجيش . وعلى الرغم من اتجاه ملوك الأسرة الثانية عشرة لتوطيد سلطانهم فى النوبة ، الا أنه يمكن الاشارة إلى تراخى قبضة مصر على النوبة فى عهد كل من أمنمحات الثانى وسنوسرت الثانى حيث لا يوجد ما يشير إلى قيام نشاط حربى فى عهدهما . ولو أن ذلك لم يمنع سنوسرت الثانى من استغلال مناجم الذهب فى بلاد النوبة ، حيث كان يتم غسل الذهب على يد الرؤساء النوبيين وتحت اشراف مصرى (٢) كما كان يقوم مسئول من قبل أمنمحات الثانى بالتفتيش على قلعة واوات . وبالاضافة إلى ذلك ، فان سنوسرت الثانى قام بتوسيع قلعة عنيبة (٣) Aniba كما عثر على اسمه فى قلعة كوبان وربما أيضاً فى كوما Kumma عند الجندل الثانى (٤) . ويشير نقش لموظف يدعى ميحتحور فى لوحة جنزية بأبيدوس من عهد الملك أمنمحات الثانى «... لقد زرت أراضى المناجم ...وأجبرت الحكام (النوبيين) أن يغسلوا الذهب... وأحضرت ملاخيت ووصلت إلى النوبة التى تتبع الزنوج (٥)...» .هذا وقد عثر على اسم سنوسرت الثانى فى قلعة كوبان ووادى العلاق Wadi el Allaqi وربما فى الكوما .

وبعد الهدوء النسبى فى نشاط ملوك تلك المرحلة فى بلاد النوبة ، اعتلى العرش سنوسرت الثالث. فاستأنف ارسال الحملات للنوبة ليواجه التهديدات

---

(1) Breasted, J.H., A.R., 1, 519f.

(2) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 503.

(3) Hayes, W.C., Ibid., p. 503.

(4) Porter, B., and Moss, R.L.B., Nubia, the Deserts, and Outside Egypt (in) Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings, 7, Oxford, 1951, p. 82.

(٥) وولتر أمرى ، المرجع السابق ص ١٦١

الآتية من الجنوب . فقد بدأت قبائل النحسيو Nehsiu فى التحرك شمالا وأصبحت تهدد النوبة السفلى ، مما أضطر سنوسرت الثالث إلى شق قناة فى صخور الجندل الأول لتسهيل مرور سفنه الحربية والتجارية فى طريقها إلى بلاد النوبة وقد عرفت هذه القناة باسم «طريق خع كاورع الجميل (١) Good are the ways of khakaure » وفى العام الثامن من حكمه ، أعاد تطهير تلك القناة (٢) استعداداً لحملته الأولى على النوبة «ليهزم كوش التعسة» .

ويشير نص على لوحة الحدود التى أقامها سنوسرت الثالث عند سمنة فى العام نفسه إلى الاجراءات الشديدة لمنع مرور النحسيو شمالا «... الحد الجنوبى الذى أقيم فى العام الثامن ... لمنع أى نحسى من المرور شمالا أوبرا أو بقارب (وكذا) أى قطعان للنحسيو بخلاف ما إذا كان أى نحسى يأتى للتجارة فى اكن Iqen (٣) ...» .

وقد تبعها بثلاث حملات « تأديبية ضد قبائل كوش وسكان الصحارى المجاورة . ولما كان من الواضح أن الغزو من ناحية الجنوب كان مصدر قلق دائم لملوك تلك المرحلة ، فاننا نرى أن سنوسرت الثالث يبحر جنوبى الجندل الثانى فى حملته فى العام التاسع عشر من حكمه ، وينقل القتال إلى أراضى السودان (٤) حيث تقدم إلى مسافة سبعة وثلاثين ميلا جنوبى وادى حلفا ، وقام بتقوية سلسلة من الحصون الدفاعية (٥) على طول هذه المنطقة من سمنة

---

(1) Hayes, W.C., Op. Cit., p. 506.

(2) Breasted, J.H., A.R., 1, 642.

(3) Wilson, J. A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, pp. 136—137.

« فى العام العاشر والسادس عشر والتاسع عشر من حكمه .

(4) Hayes, W.C., Op. Cit., p. 507.

(5) Gardiner, A., Ancient Egyptian Onomastica, Vol. I, Oxforb University Press 1947, pp. 9ff

وحتى بوهن ، وذلك لتكون نقاط مراقبة لحماية الجنوب . وقد صممت لتكون مواقع دفاعية كما يتضح من أسمائها (التى تطرد القبائل) والتى (تكبح الصحراوات) . وكانت أشدها متاعة وأضخمها القلعة التى شيدها فى سمنة والتى أطلق عليها «خع كاورع القوى» (١) .

وتشير لوحة النصر النهائى التى أقامها سنوسرت الثالث فى سمنة وفى جزيرة أورونارتى «... السنة السادسة عشرة ، الشهر الثالث من الفصل الثانى : أقام جلالته الحدود الجنوبية فى سمنة . لقد أقمت حدودى أبعد من آبائى...» (٢). وقد عزز تلك الحدود بالجنود المصرية وبجنود قبائل المد جاى (٣) .

وفى العام التاسع عشر من حكمه ، نراه يظهر قوته للنوبيين مرة أخرى فيذهب على رأس حملة إلى كوش ( ). وربما كانت هذه آخر حملاته إلى النوبة وعلى ذلك يكون سنوسرت الثالث قد نجح فى توطيد أركان حكمه فى النوبة. إلى الدرجة التى اعتبروه إلها على النوبة وعبدوه فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

ويبدو أن حدود مصر الجنوبية فى النوبة بقيت حتى حدود سمنه فى عهد خلفائه أمنمحات الثالث وأمنمحات الرابع والملكة سوبك نفرو حيث لم يرد أى ذكر لنشاط عسكرى طيلة مدة حكمهم . وفى الامكان ملاحظة استمرار النفوذ المصرى فى النوبة معظم فترات عصر الأسرة الثالثة عشرة بدليل تسجيل فيضان النيل عند الجندل الثانى فى السنوات الأربع الأولى لحكم الملك سخم رع خوتاوى امنمحات سوبك حوتب Sekhemre Khutowy Ammenemes Sobkhotpe أول فراعنة هذه الأسرة (٥). ولما أصبحت مصر تحت حكم الهكسوس،

---

(١) الن جاردنر المرجع السابق ، ص ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(2) Wilson, J.A., Op. Cit., p. 137.

(3) Wilson, J.A., Ibid., p. 138.

(4) Breasted, J.H., A History of Egypt, from the Earliest times to the Persian Conquest, Book III, "The Middle Kingdom : The Feudal Age" London 1906, p. 186. and Breasted, J.H., A.R., 1, 661.

(5) Hayes, W.C., "Egypt : From the Death of Ammenemes III to Seqenenre 11", (in) C.A.H., Vol. 11, Part 1, Cambridge, 1973, p. 45.

لم يبق لمصر قوة فى النوبة .وانتهزت بعض القبائل المغيرة الفرصةوتسربت إلى النوبة السفلى وثبت أنها أتت من الصحراء الشرقية ، وكانت خليط بين الجنس الحامى والجنس الزنجى . ولقد وصلت فى خطرها إلى تهديد الحدود الجنوبية لمصر نفسها . واستطاعت تلك القبائل أن تكون دولة مستقلة اتخذت عاصمتها فى بوهن . (١)

ولم يكتف النوبيون بذلك بل عقدوا حلفا مع ملوك الهكسوس . ويشير إلى ذلك وجود بعض جعارين تحمل طابع الهكسوس فى مقابر النوبة السفلى (٢) . كما يعزز هذا التقارب رسالة (٣) الملك ابوفيس Apophis ملك الهكسوس إلى أمير كوش • ، الذى بدأ رسالته بلفظة «ولدى» ، وعاتبه على عدم اخباره بتعيينه أميراً على كوش كما أبلغه عن حرب التحرير التى كان قد بدأها كامس Kamose وحاول أن يؤلبه على مصر ويحرضه على مهاجمتها .

وعندما بدأت حروب التحرير ضد الهكسوس ، وضع أبطال التحرير

---

(1) Hayes, W.C., Ibid., P. 65.

(2) James, T.G.H., "Egypt : From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I", (in) C.A.H., Vol. 11, Part I, Cambridge, 1973, p. 297.

(3) Tigger B., Op., Cit., p. 103.

• كان يطلق على حاكم النوبة لفظة «أمير كوش» وكان يسيطر على المنطقة الممتدة من الفنتين وحتى كرما .

James, T.G.H., OP. Cit., p. 296.

ويبدو أن امارة كوش كانت قد استقلت منذ أواخر عصر الانتقال الثانى فى الوقت الذى فقدت فيه مصر وحدتها ، مما اضطر جيوش الفرعون إلى الانسحاب من الجنوب .

Tigger, B., Op. Cit., p. 296.

نصب أعينهم استعادة النفوذ المصرى فى النوبة . وتشتمل لوحة كارنارفون (١) على حديث للملك كامس إلى مجلس كبار رجال الدولة الذين كانوا فى حاشيته « ... أريد أن أعرف قوتى عندما أرى حاكما فى «أواريس» وآخر فى أثيوبيا ، وأنا أجلس فى الحكم مشتركاً مع رجل أسيوى وآخر من النوبة وكل رجل منهما مسئول عن قطاعه من مصر هذه وذلك الذى يقاسمنى الأرض لاأجعله يمر فى ماء مصر حتى منف ...» (٢) .

ويبدو من سجل انتصارات كامس أن مناطق النوبة كانت تحت السيطرة المصرية بدليل وجود نقوش صخرية تحمل اسم كامس بجوار توشكا (٣) Toshka

وفى عهد أحمس الأول ، بدأت الحروب الجنوبية لاسترجاع النوبة . وتشير نقوش أحمس بن ابانا « Ahmose,son oP. Ibana على جدران مقبرته فى الكاب «... والآن عندما ذبح جلالته الأسيويين ، صعد جنوبا إلى خنت نفر henti-hen-nefer ليقضى على بدو بلاد النوبة ... » وبدأ جلالته مذبحة عظيمة فيهم وبعد ذلك أحضرت من هناك غنيمة ... وقد كوفئت بالذهب من جديد (٤) ... » .

ويبدو أن ثورة كوش كان يقودها أميرها تتيان Tetian . هذا وقد عثر على تمثال يحمل اسم أحمس وكذلك على كتلة حجرية تحمل اسم زوجته

---

(١) عثر على اللوحة غربى طيبة وترجمها جن وجاردنر وارمان

Gunn, B., and Gardiner, A.H., New Renderings of Egyptian Texts, "The Expulsion of the Hyksos", (in) J.E.A., Vol. V., London 1918, pp. 45 — 47. and Erman, A., L.A.E., pp. 52—54.

(2) Wilson, J., "The War Against the Hyksos", (in) A.N.E.T., p. 232.

(3) James, T.G.H., Op. Cit., p. 297.

* قام بترجمة النص كل من برستد وجن وجاردنر

Breasted, J.H., A.R., 11, 1—13, 81—82. and Gunn, B., Gardiner, A.H., Op. Cit., pp. 48—54.

(4) Wilson, J., "The Expulsion of the Hyksos", (in) A.N.E.T., p. 234.

أحمس نفرتارى فى جزيرة ساى ** Sai . والمعروف أن أحمس أقام حاكماً على بوهن اسمه تورى Tjuroy وهو الذى أصبح فيما بعد حاكماً على النوبة (١) وكان أحياناً يلقب «الابن الملكى وحاكم البلاد الجنوبية» . وبذلك يكون أحمس قد استطاع أن يستعيد النفوذ المصرى فى النوبة ، وأن يشيد معبداً فى بوهن ، وأن يجدد القلاع والحصون التى كان قد بناها اسلافه من الدولة الوسطى (٢)

ومن عهد امنحوتب الأول ، يشير أحمس بن ابانا إلى حملة هذا الفرعون على النوبة بهدف «توسيع حدود مصر» (٣) وأورد وصفاً لتلك الحملة التى قادها الفرعون ضد القبائل القاطنة إلى الشرق أو الغرب من وادى النيل والتى كانت تعتدى على السكان الآمنين فى النوبة . ويستدل من ذلك النص أن الملك امنحوتب الأول قد غزا النوبة وقد وصل فى حملته إلى الحدود التى وصل اليها ملوك الدولة الوسطى عند الجندل الثانى . ويعزز ذلك الاتجاه نقوش الوالى تورى التى تعود إلى العامين السابع والثامن من حكم امنحوتب الأول فى كل من سمنة وأوروناتى عند خط الحدود الجنوبية القديمة التى كان قد أقامها فراعنة الأسرة الثانية عشرة (٤) . كما أنه عثر على اسمى أحمس وأمنحوتب الأول على بعض الآثار من القلعة والمعبد اللذان أقامهما أحمس فى جزيرة ساى . (٥) وفى بداية عهد تحوتمس الأول ، يبعث مرسوم

** تبعد ما يزيد عن مائة ميل جنوبى بوهن .

(1) James, T.G.H., Op. Cit., p. 299.

(2) Hayes, W.C., "Egypt : Internal Affairs rom Tuthmosis 1 to the Death of Amenophis III', (in) C.A.H., Vol. 11, part 1, Cambridge, 1973, p. 346.

(3) James, T.G.H., Op. Cit., p. 309.

(4) Breasted, J.H., A History of Egypt from the Earliest times to the Persian Conquest, London, 1906, pp. 145—146.

(5) Vercoutter, J. "New Egyptian Texts from the Sudan", (in) kush, 4, 1956, pp. 75—79.

إلى نورى حاكم النوبة ينبؤه بأمر ولايته للعرش. وتوجد نسختين من هذا المرسوم عثر عليهما فى وادى حلفا وفى كوبان (١) .

ويشير أحمس بن ابانا إلى جهوده الحربية فى النوبة «... ان فرعون مصر حارب قائد النوبيين فسدد أول سهامه نحو هذا القائد فأصابه وألقاه على الأرض صريعاً ، بعد ذلك هزم الجيش النوبى تماماً وأسر كثيرين منهم(٢)...». وقد تم فى عهد تحوتمس الأول بسط النفوذ المصرى فى كوش وجزيرة آرجو * Argo وأخيراً الجندل الرابع (٣) عند كورجس Kurgus حيث تشير لوحة الحدود التى أقامها فى هذا الموقع إلى المدى الذى وصل اليه فى الجنوب (٤) . وعين الملك حاكماً عاماً على النوبة بعد أن تعذر على حاكم الكاب أن يشرف على هذا الاقليم بعد أن امتد حتى الشلال الرابع . وقد أطلق على حاكم النوبة لقب «حاكم البلاد الأجنبية وابن الملك المعين على كوش» .

ومن النصوص التى تشير إلى امتداد سلطة حاكم النوبة حتى الشلال الرابع «هذا ختم فرعون الذى ولاك حاكماً (على القطر) الذى بين مدينتى نخن ونبته (٥) ... » .

أما تحوتمس الثانى ، فقد أحرز فى عامة الأول ثورة «فى شمال كوش

---

(1) Hayes, W.C., OP. Cit. p. 315.

(2) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book V, "The Empire; First Period", London 1906, p. 256. and Breasted, J.H., A.R. 11, 80.

* فوق الجندل الثالث

(3) Arkell, A., Op. Cit., pp. 36 — 39.

(4) Tigger, B.J., Op. Cit., p. 108.

(5) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book V, „The Empire: First Period", London, 1906, p. 255 and Breasted, J.H., A.R., 11, 1022.

الحقيرة » (١) ويبدو أن تلك الثورة اندلعت فى الوقت الذى بلغ النوبة فيه أخبار نزاع افراد الأسرة المالكة مما اضطر الفرعون إلى تجهيز جيش وصل إلى اقليم الجندل الثالث . ولم يكتف هذا الجيش بهزيمة النوبيين ، بل قام بذبح العصاه الذكور ما عدا أحد أبناء حاكم كوش الذى أسر حيا وأخذ أسيراً إلى طيبة (٢) .

وفى عهد خلفه تحوتمس الثالث ، تشير لوحة جبل برقل Gebel Barkal أنه أتم قبل العام السابع والأربعين من حكمه احتلال منطقة كاروى ** Karoy وأقام هناك مدينة نبتة الدفاعية . والواقع أن الملوك الفراعنة لم يصلوا فى حملاتهم على النوبة إلى أبعد من هذه المنطقة . حتى حملة تحوتمس الثالث فى عامه الخمسين لم تتعدى أن تكون حملة استعراضية لقوته العسكرية فى الجنوب ، لارهاب رجال القبائل فى الصحراء المجاورة . ولم تكن موجهة ضد السكان الأصليين الذين كان قد تم تحصيرهم (*) . وفى هذه الحملة ، مر فى الجندل الأول وأعاد تطهير القناة التى كان قد أقامها سنوسرت الثالث وتحوتمس الأول (٤) . وعلى جدران الكرنك ، توجد قائمة مزدوجة لمائة وخمسة عشر موقعة نوبية انتصرت فيها الجيوش المصرية على النوبيين (٥) . وتشير لوحة النصر التى أقامها تحوتمس الثالث فى معبد الكرنك إلى انتصاراته «... وقد جمعت زنوج النوبة بعشرات الآلاف (٦) ...».

---

(1) Hayes,W .C. Op. Cit., p. 347.

(2) Tigger, B.J., OP. Cit., P. 109.

** بجوار الجندل الرابع .

3) Hayes, W.C,, Op. Cit., P. 347.

(٤) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

(5) Breasted, J.H., A History of the Ancient Egyptians, The Historical Series for Bible Students, Vol. V., P. 241.

* موجودة حالياً فى متحف القاهرة تحت رقم ٣٤٠١٠ .

(6) Wilson, J.A.. "The Hymn of Victory of Thut-mose III", (in) A.N.E.T., P. 374.

ولقد دفع استقرار النفوذ المصرى فى تلك المناطق إلى أن يقوم امنحوتب الثانى يشتق أمير أسيوى على جدار سور نبته اظهاراً لقوة انتصاره . كما تشير إلى ذلك نقوش لوحة فى معبد عمدا Amada وأخرى فى معبد الفنتين(١) ** ويشير نص لوحة عمدا«... وشنق ستة رجال من الأعداء على أسوار طيبة... أما السابع فقد أرسل بسفينته إلى النوبة وعلق على جدار أسوار نبته ليكون عبرة تريهم قوة انتصارات جلالته إلى الأبد فى كل الأراضى وبلاد الزنوج ...» . (٢)

ويذكر برستد (٣) أن حروب أمنحوتب الثانى فى النوبة قد امتدت حتى منطقة كاروى وأن تلك المنطقة أصبحت الحد الجنوبى للاقليم الذى يشرف عليه «حاكم الممالك الجنوبية» . وقد ترك أمنحوتب الثانى آثاراً تدل على اظهار حدود مملكته ، كما ترك نقشاً على قوسه الحربى يصف فيه نفسه : «... قاتل الاعداء قاهر كوش وناهب بلادهم ... سور مصر العظيم الحامى جنوده (٤) ...». مما يوضح اهتمامه بتوسيع مملكته جنوباً حتى الجندل الرابع فى نبته (٥) .

وقد قام تحوتمس الرابع فى عامه الثامن بسحق بعض القبائل المتمردة فى الوديان شرق واوات . ومنذ عهده تغير لقب حاكم النوبة إلى «ابن الملك

---

(1) Hayes, W.C., Op. Cit., P. 347.

** هذه اللوحة مقسمة بين القاهرة (فى متحف القاهرة تحت رقم ٣٤٠١٩) وفينا تحت رقم ١٤١ .
وقد ترجم اللوحة برستد

Breasted, J.H., A.R., 11, 791 — 797.

(2) Wilson, J.A., "The Amaba and Elephantine stelae". (in) A.N.E.T., p. 248.

(3) Breasted, J.H., A History of Epypt, from the Earlies t times to the Persian Conquest, Book V, "The Empire :First period", London, 1906 .p. 325.

(4) Breasted, J.H., Ibid., p. 326.

(5) Hayes, W.C., Op. Cit., p. 320.

فى كوش» و «حامل المروحة الملكية إلى يمين الملك (١)» . وكان له نائبان: أحدهما يتولى شئون واوات والآخر شئون كوش (٢) . وتشير النصوص المدونة على بقايا لوح يخص الملك امنحوتب الثالث فى معبده فى عمدا إلى ثورة فى واوات (٣) . كما تشير سبعة نصوص حفظت فى طيبة وأسوان وسمنه إلى حملة امنحوتب الثالث فى عامه الخامس ضد النوبة حيث تقرأ وصفاً للملك بأنه «الأسد المخيف» «الحاكم القوى» «النار» . وربما لم يصل إلى أكثر من الجندل الرابع وهى المنطقة التى وصل اليها كل من تحوتمس الثالث وأمنحوتب الثانى حيث تشير لوحة كونوسو Kenosso «... لم يصل أى من ملوك مصر مثلما وصل اليه جلالته... (٤) » .

كما تشير نصوص لوحة امنحوتب الثالث التى أقامها فى معبده فى طيبة إلى إخضاعه لأمراء كوش حيث يخاطبه الاله امون رع «... جعلت أمراء اثيوبيا البائسة يخضعون لك حاملين الجزية على ظهورهم (٥) ...» .

أما فيما يتعلق بأمنحوتب الرابع ، فقد عين واليا على كوش ، ولكن لم يرد ذكر لهذا المسئول فى المرحلة التى غير فيها امنحوتب اسمه إلى اخناتون . وكان من الطبيعى أن تنعكس حالة التوتر التى عاشتها مصر أثناء ثورة اخناتون الدينية على الحالة فى النوبة إذ لم يعد من السهل استغلال مناجم الذهب فى تلك المرحلة . ولعل هذا يفسر الحاح الأمراء الاسيويين فى رسائلهم فى طلب الذهب من مصر (٦) .

---

(1) Hayes, W.C., Ibid., p. 348.

(2) Hayes, W.C., Ibid., p. 349.

(3) Faulkner, R.O., "Egypt : from the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III," (in) C.A.H., Vol. 11, part 2A, Cambridge, 1975, p. 235.

(4) Hayes, W.C., Op. Cit. P. 340.

(5) Wilson, J.A., "From Amen-Hotep III's Building Inscription", (in) A.N.E.T. p. 376.

(6) Wilson, J. A., The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975, p. 231.

لم تضعف الأحداث التي مرت بها مصر في أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة من قبضة المصريين على النوبة حيث تشير وثيقتان عثر عليهما في وادى حلفا من عهد رمسيس الأول وسيتي الأول إلى تأسيس معبد مصرى في بوهن (١) . كما عثر على لوحة في معبد رمسيس الثاني في قلعة كوبان تشير إلى استخراجه للذهب من وادى العلاقي .

أما سيتي فقد أسس بهواً للأعمدة في معبد أمون في نبته (٢) . وعلى الرغم من ظهور نقوش للمعارك الحربية في معابد رمسيس الثاني في أبي سنبل وبيت الوالي Beit-el Wali والدر (٣) Ed-Derr الا أنه يبدو أن مثل هذه المناظر لم تكن سوى تقليداً استعير من النقوش السابقة (٤) . أضف إلى ذلك أن تلك النقوش لم تشر إلى مكان أو زمان تلك الحروب في النوبة التي كانت قد تحولت في الحقيقة إلى اقليم مصرى ، كما أصبح سكانها متمصرين (٥) وبالأخص سكان المنطقة بين الجندلين الأول والثاني ، حيث استبدل الحكام النوبيين بمصريين ، كما شكلت محاكم مصرية تحت اشراف الحاكم المصرى بالنوبة وشيد بكل مدينة معبد مصرى عبدت به الآلهة المصرية (٦) .

ونشير لوحة عثر عليها في كوبان إلى اهتمام رمسيس الثاني باستغلال مناجم الذهب وخاصة في ايكيتا (٧) . ولقد بقيت واوات وكوش تحت السيطرة المصرية واستمرت الادارة في النوبة تسير بنفس الطريقة التي كانت

---

(1) Faulkner, R.O., Op. Cit., p. 224.

(2) Faulkner, R.O., Ibid., P. 224.

(3) Faulkner R.O., Ibid., p. 230.

(٤) ان جاردنر ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(5) Drower, M.S., "Syria C. 1500—1400 B.C" (in)C.A.H., Vol. 11, Part 1, Cambridge 1973, p. 468.

(6) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book VII, "The Decadence", London 1906, p. 537,

(7) Breasted, J.H., A.R., III, 282 ff.

متبعة فى العصور السابقة وحتى نهاية حكم الأسرة العشرين على امتداد المنطقة من الفنتين وحتى نبته (١) .

ومما يؤكد استمرار السيطرة المصرية طوال عصر الرعامسة ، اننا نلتقى مع اسم رمسيس الرابع منقوشاً فى بوهن وجرف حسين Gerf Husein ، ورمسيس الخامس فى بوهن ورمسيس السادس فى عنيبة وعمارة Amara وكوة Kawa ورمسيس التاسع فى عمارة ، ورمسيس العاشر فى كوبان وعنيبة ، ورمسيس الحادى عشر فى بوهن (٢) .

وفى أواخر عهد رمسيس الحادى عشر دخلت مصر مرحلة جديدة أساسها محاولة النهضة بالبلاد وتطهير كافة مرافقها من الحالة التى وصلت اليها . وقد اشار شرنى (٣) Cerny إلى ما حدث فى العام التاسع عشر من حكم هذا الفرعون ، وأرجع إلى كهنة امون محاولة ما أسماه حرفياً «بتجديد الولادة» . فنرى العام التاسع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر يوافق العام الأول من عصر النهضة الذى لم يستمر أكثر من تسع سنوات وانتهت بانتهائه الأسرة العشرون التى فقدت فى نهاية حكمها املاكها فى اسيا ، بينما احتفظت بنفوذها فى بلاد النوبة . حيث تمكن كبار كهنة امون من حسن اختيار حكام النوبة امثال بنحاس pinehas وحريحور Hrihor الذى أسس الأسرة الحادية والعشرين بعد ان تمكن من جمع مختلف السلطات فى يديه سواء الدينية أو الادارية أو الحربية ، ثم انتحل فيما بعد الألقاب الملكية . ومما تجدر الاشارة اليه أن رئيس كهنة امون أصبح حاكماً على النوبة منذ أواخر عصر الأسرة العشرين واثناء عصر الأسرة الحادية والعشرين .

---

(1) Cerny, J., "Egypt : From the Death of Ramesses III to the End of the Twenty-First Dynasty", (in) C.A.H., Vol. 11, Part 2B, Cambridge, 1975, P. 632.

(2) Cerny, J., Ibid., P. 632.

(3) Cerny, J., "A Note on Repeating of Births", (in) J.E.A. Vol., XV, London, 1929, PP. 194 ff.

هكذا تمكن حكام طيبة من بسط سيطرتهم على النوبة إلى أن ظهرت فى النوبة مملكة اتخذت عاصمتها فى نبته ، فأدى ظهورها إلى قلب الأوضاع على المسرح السياسى فى تلك المنطقة وكان أمون هو معبود هذه المملكة الرسمى ، وحمل ملوكها نفس الألقاب الفرعونية ، كما شيدوا معابدهم على الطراز المصرى .

وأول ما عرفناه من الأسماء فى هذه الأسرة آلارا Alara الذى حكم معظم أراضى النوبة العليا ، وربما امتد نفوذه إلى منطقة شندى Shendi عند الجندل الخامس . وتبعه كاشتا Kashta الذى تلقب بملك مصر العليا والسفلى. ولكن لا يوجد من الآثار ما يدل على نشاطه فى مصر سوى لوحة أقامها فى معبد ختوم فى أسوان (١) . ثم تبعه ابنه بعنخى Piankh الذى استطاع تحقيق الحلم وتمكن من دخول مصر منتصراً حينما نجح فى انزال الهزيمة بأعوان تف نخت فى الاشمونين ، ثم واصل زحفه إلى منف وأعقب ذلك بزيارته إلى هليوبوليس ، وتمكن بذلك من الوصول إلى عرش مصر وتأسيس الأسرة الخامسة والعشرين .

وبعد أن أرسى دعائم حكم الأسرة النوبية فى مصر طيلة ستين عاماً ، عاد بعنخى بعد أن حمل معه بالغنائم إلى نبته (٢) حيث سجل انتصاراته على لوحة جرانيتية فى معبد أمون وأظهر نفسه فيه كابن أمون وأنه هزم اعدائه الشماليين (٣) . وقد خلف بعنخى على عرش نبته شاباكا Shabaka الذى قضى على جيوش بكوريس فى مصر ، واتخذ من منف عاصمة له . ثم خلفه نوبى آخر هو شبتاكا Shebitaka الذى ظل على العرش حتى ولاية طهرقا.

---

(1) Tigger, B.J., Op. Cit., pp. 144—145.

(2) Wilson, J.A., Op. Cit., P. 293. and Breasted, J.H., A.R., IV, 816 ff.

(3) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book VII, "The Decadence", London 1906, p. 545. and Breasted, J. H., A.R., IV, 796—883.

ويشير نص فى ملوك الثانى ١٩ : ٨ – ٢٥ إلى أن طهرقا قد خرج لمحاربة الاشوريين (١) . واستطاع فى بداية الأمر أن يتغلب على الملك الاشورى أسرحدون ويصده عن مصر . ولكن اسرحدون كرر محاولته فى مهاجمة مصر عن طريق سيناء ومنها إلى منف التى حاصرها واستولى عليها بمن فيها من عائلة طهرقا .

وتشير الألواح (٢) المنقوشة بالمسمارية إلى فتح أسرحدون لمدينة منف فى عهد طهرقا «... من مدينة ايشوبرى Ishhupri حتى منف مقره الملكى مسيرة خمسة عشر يوماً ، حاربت يومياً دون انقطاع فى معارك دموية ضد طهرقا ... ملك مصر وأثيوبيا الملعون من كافة الآلهة العظام . وقد ضربته خمس مرات بسنان سهامى وسببت له جراحاً لاتلتئم ، ثم حاصرت «منف» مقره الملكى ودمرتها وخربت أسوارها وأحرقتها ...» . ويستمر النص فى وصف تلك الحملة «... نفيت كل الاثيوبيين من مصر ، لم أترك واحداً منهم يقدم لى فروض الطاعة وعينت فى مصر فى كل مكان ملوكاً جدد وحكاماً وضباطاً ورؤساء موانى ، موظفين رسميين ...» .

ولكن طهرقا عاد بعد سنوات وتغلب على الحامية الأشورية مما دفع اسرحدون لتكرار محاولته للهجوم على مصر مرة أخرى . ولكنه توفى وخلفه أشور بانيبال الذى تمكن من الاستيلاء على منف مما اضطر طهرقا إلى الهروب إلى طيبة . ولكن العدو الاشورى استطاع أن يستولى على طيبة مما دفع طهرقا إلى الانسحاب جنوباً إلى نبته .

وقد خلف طهرقا تانوت أمانى Taenwat Amani (ابن شبتاكا) فى حكم نبته . فحاول أن يطرد الاشوريين من طيبة ثم من منف إلى أن عاد

---

(١) الن جاردنر ، المرجع السابق ، ص ٣٧٦ .

(2) Leo, Oppenheim, A., "Texts from Hammurabi to the Downfall of the Assyrian Empire", (in) A.N.E.T., p. 293.

أشور بانيبال من نينوى وتمكن من هزيمة تانوت أمانى . فيفر الأخير إلى طيبة التى استولى عليها الاشوريين . ويصف أشوربانيبال (١) أنه «... غزا طيبة غزواً شاملا وأنه حمل معه إلى نينوى جزية ضخمة ...» . ومع ذلك فانه يبدو أن هذه كانت آخر مرة يظهر فيها فى مصر عام ٦٦٣ ق . م . ولو أنه عثر على نص من عهد تانوت امانى «لوحة الحلم» (٢) . ويشير هذا النص إلى رؤيا شاهد الملك فيها ثعبانين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره . وقد فسر الحلم «مصر العليا تتبع لك ، فخذ لنفسك مصر السفلى الهنا الصل والعقاب ظهرتا على رأسك ، منحت لك الأرض طولا وعرضاً وسوف لا ينازعك أحد فيها» (٣) ثم عاد تانوت أمانى إلى نبته . وبخروجه من مصر ، انتهى عصر الحكم النوبى نهائياً من البلاد .

ويتضح من بحث موضوع العلاقات المصرية النوبية من الناحية السياسية أثناء العصر التاريخى أن المصريين القدماء اعتبروا الجندل الثانى بمثابة الحدود الجنوبية الطبيعية لمصر القديمة ، كما أنهم اعتبروا بلاد النوبة السفلى فيما بين الجندل الأول والثانى بمثابة منطقة نفوذ لهم منذ أقدم العصور . ومن أجل ذلك ، فإنهم دأبوا على استغلال مناجمها وتجنيد أبنائها وارسال البعثات الاستكشافية اليها بين الحين والآخر . ولقد كان هناك عاملان مهمان أحدهما اقتصادى والآخر سياسى ، دفعا بمصر الفرعونية إلى الاهتمام بتلك المناطق إلى البحث عن المواد الخام والمعادن وخاصة الذهب فى بلاد النوبة . ومما يزيد أهمية النوبة عند المصريين ، أنها كانت الطريق الوحيد لأقاليم السودان الجنوبية الغنية التى كانت تصدر لمصر الذهب وريش النعام وخشب الأبنوس وجلود النمر وسن الفيل . ومن أجل ذلك اتجه فراعنة مصر منذ

---

(1) Leo Oppenheim, A., Ibid., p. 295.

(2) Breasted, J.H., A History of Egypt, Book VII, "The Decadence", London 1906, p. 558.

(3) Breasted, J.H., A.R., IV, 922.

عصر الاسرات المبكر إلى السيطرة على طرق القوافل التجارية والقضاء على العناصر المغيرة التي كانت تتصدى لتلك القوافل .

أما من ناحية العوامل السياسية للاهتمام ببلاد النوبة ، فيتضح من تصدى الحكام المصريين لكل من كانت تسول له نفسه للوقوف فى وجه النفوذ المصرى آنذاك . ولم يكن ذلك فى الواقع لمجرد استعراض القوة المصرية العسكرية بل كان هدفه الخوف الدائم على حدود مصر الجنوبية ولا سيما أن المصريين كانوا يستشعرون الخطر من ناحية بعض القبائل النوبية . ولقد صح ما توقعته الدوائر الحاكمة فى مصر من ناحية تلك القبائل . فقد انتهزت الفرصة التى سنحت لها أثناء عصر الانتقال الأول فى مصر وتمكنت من أن تكون لنفسها نقط ارتكاز هددت منها بلاد النوبة السفلى وحدود مصر الجنوبية بعد أن استقلت وكونت دولة كوش . لذلك كان لزاماً على ملوك الدولة الوسطى أن يدعموا النفوذ المصرى السياسى فى النوبة مما استدعى استيلاءهم على كرما . ولم يكتف المصريون بذلك ، بل أنهم نجحوا فى تمصير النوبة السفلى والعليا عندما بدأ أحمس الأول تأسيس الامبراطورية المصرية ، وعينوا نائباً عن الملك يتولى شئون تلك المناطق . واستمرت بلاد النوبة باقليميها تابعة لمصر ، إلى أن ظهرت أسرة نوبية جديدة انتهزت فرصة التفكك الداخلى فى مصر ، وتمكنت من السيطرة على بلاد النوبة أولا ثم نجح أحد حكامها بعنخى من دخول مصر وتنصيب نفسه ملكاً عليها مؤسساً بذلك الأسرة الخامسة والعشرين المصرية . ولكن الحرب الاشورية على مصر أدت إلى خروج تلك الأسرة فى نهاية المطاف من مصر عندما هزم تانوت أمانى ورجع إلى نبته عاصمته الجنوبية .

المراجع

(أ) مدلولات الاختصارات List of Abbreviations

A.N.E.T = Pritchard. J.B., Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament, Third Edition With Supplement, Princeton, 1969.

Breasted, A.R. = Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, 4 Vols. Chicago, 1906.

C.A.H., = The Cambridge Ancient History, Third Edition, Volume I Part 2A and 2B, Early History of the Middle East. Cambridge, 1971.

— The Cambridge Ancient History, Third Edition, Volume 11 Part 1, History of the Middle East and the Aegean Region C. 1800—1380 B.C. Cambridge, 1973.

— The Cambridge Ancient History, Third Edition, Volume 11 part 2A and 2B, History of the Middle East and the Aegean Region C., 1380—1000 B.C. Cambridge, 1975.

J.E.A. = The Journal of Egyptian Archaeology, London1914

J.N.E.S. = Journal of Near Easern Studies, Chicago, 1948.

L.A.E. = The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927, A Translation into English by Blackman, A.M. of Erman's die Literature der Aegypter, Leipzig, 1923.

(ب) مراجع عربيه

عبد المنعم أبو بكر وآخرون ، بلاد النوبة

(جـ) مراجع مترجمة إلى اللغة العربية

الن جاردنر : مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، الاسكندرية ١٩٧٣ .

وولتر امرى : مصر وبلاد النوبة ، ترجمة تحفة حندوسه ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ،القاهرة ١٩٧٠ .

د) مراجع أجنبية

4. Arkell, A.J., "Varia Sudanica", (in) J.E.A., London 1950.
5. Breasted, J.H., A History of the Ancient Egyptians, The Historical Series for Bible Students, Vol. V.
6. ————, A History of Egypt From the Earliest Times to the presian Conquest, London, 1906.
7. ————, Ancient Records of Egypt, 4 Vols. Chicago, 1906.
8. (erny, J. "A Note on Repeating of Births,(in) J.E.A. Vol.XV, London, 1929.
9. ————, "Egypt : From the Death of Ramesses III' to the End of Twenty- First Dynasty" (in) C.A.H., Vol. 11, Part 2B, Cambridge, 1975.
10. Drower, M.S., "Syria C. 1500—1400 B.C." (in) C.A.H. Vol. 11, Part 1. Cambridge, 1973.
11. Edwards, I.E.S., "The Early Dynastic Period in Egypt", (in) C.A.H. Vol. 1, Part 2A, Cambridge 1971.
12. Emery, W.B., "A Masterpiece of Egyptian Military Architecture of 3900 Years ago : the Great Castle of Buhen in the Sudan", (in) Ilustrated London News, Vol. 235, no. 6267 (12 September, 1959).
13. Faulkner, R.O., "Egypt : From the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III", (in) C.A.H., Vol. 11, Part 2 A, Cambridge, 1975.
14. Cardiner, A., Ancient Egyptian Onomastica, Vol. 1, Oxford University Press, 1947.
15. ————, Egyptian Grammar, Being An Introduction to the Study of Hieroglyphs, london, 1969.
16. ————, "New Literary Works From Ancient Egypt, Petersburg 1116B, Recto", (in) J.E.A., 1, London, 1914.

17. Golénischeff, W., Les Papyrus Hiératiques nos. 1115, 1116 A, et1116 B de l'Ermitage Impérial à St. Pétersbourg (St. Petersburg, 1913),

18. Gunn, B., and Gardiner, A. H., New Renderings of Egyptian Texts "The Expulsion of the Hyksos",(in)J.E.A., Vol. V. London, 1918.

19. Hayes, W.C., "Egypt : From the Death of Ammenemes III to Seqenenre 11", (in) C.A.H., Vol. 11, Part 1, Cambridge, 1973.

20. ————, Egpt : Internal Affairs From Tuthmosis I to the Death of Amenophis III", (in) C.A.H., Vol 11, Part 1, Cambridge, 1973.

21. ————, "The Middle Kingdom in Egypt, Internal History From the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes 111" (in) C.A.H., Vol. 1, Part 2A, Cambridge, 1971.

22. James, T.G.H., "Egypt : From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis 1", (in) C.A.H. Vol. 11, Part 1, Cambridge, 1973.

23. Leo Oppenheim, A., "Texts From Hammurabi to the Downfall of the Assyrian Empire", (in) A.N.E.T., Princeton, 1969.

24. Lutz, H.F., Egyptian Tomb Stelcs and Offering Stones of the Museum of Anthropology and Ethnology of the University of California (University of California Publications Egyptian Archaeology. Vol. IV) Leipzig, 1927.

25. Porter, B., and Moss, R.L.B., Nubia, the Deserts and Outside Egypt (in) Topographical bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings, 7, Oxford, 1951.

26. Quibell, J.E., and Green, F.W., Hierakonpolis, Part 2 (E.R.A. 5th Memoir) London, 1902.

27. Reisner, G.A., Excavations at kerma (Harvard African Studies, Vol. V, and Vol. VI, Cambridge Mass, 1923.

28. Smith, G.E., and Jones, F.W., The Archaeological Survey of Nubia (Report for 1907 —1908) Vol. 11, Report on the Human Remains, Cairo, 1910.

29., ———— "The Old Kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate Period", (in) C.AH., Vol. 1, Part 2 A, Camibrdge, 1971.

30. Tigger, B.J., Nubia Under the Pharohs, Great Britain, 1976.

31. Vercoutter, J. "New Egyptian Texts From the Sudan", (in) Kush, 4, 1956.

32. ———— "Upper Egyptian Settlers in Middle Kingdom Nubia", (in)Kush, 5, 1957.

33. Wilson, J.A., "Asiatic Campaigns Under Pepi 1," (in)A.N.E.T.

34. ————, " From Amen. Hotep IIIs' Building Inscription", (in)A.N.E.T.

35. ———— "The Amada and Elephantine Stelae", (in) A.N.E.T.

36. ————, "The Expulsion of the Hyksos", (in) A.N.E.T.

35. ————, "The Hymn of victory of Thut-mose III, (in) A.N.E.T.

37. ————, "The Prophecy of Neferti", (in) A.N.E.T.

83. ————, "The War Against the Hyksos" (in) A.N.E.T., Third Edition with Supplement, Princeton, 1969.

39. ————, The Culture of Ancient Egypt, U.S.A., 1975.